إعادة تصور دور الأدب في الحد من الأزمات المجتمعية: دراسة حول الشباب والأيديولوجيا

د. جاويد نديم الندوي*

الملخص:

تشهد المجتمعات العالمية حالة من القلق والاضطراب المتفاقم نتيجة انتشار ظروف اجتماعية ونفسية معقدة، تؤثر بشكل خاص على الشباب، الذين أصبحوا الأكثر تأثراً بهذه التحديات. تشير التقارير الإعلامية إلى تفاقم هذه الظواهر، التي تتجلى في أزمات مثل إدمان المخدرات، الانتحار، والانحرافات الأخلاقية. يعزى هذا الوضع إلى عوامل تاريخية وأيديولوجية، لاسيما الصراع بين الشيوعية والرأسمالية خلال القرن العشرين. ركزت الشيوعية على الاقتصاد المركزي مع إغفال المشاعر الإنسانية، بينما استغلت الرأسمالية العواطف كأداة تجارية، مما أدى إلى تهميش القيم الإنسانية وتدهور الروابط الاجتماعية. نتيجة لذلك، عانى الأفراد من شعور بالفراغ الروحي والاضطراب النفسي، مما أعاق قدرتهم على مواجهة هذه الأزمات في ظل هيمنة النزعة المادية. يقترح البحث إعادة النظر في دور الأدب كأداة لتهذيب النفوس وتعزيز القيم الأخلاقية، حيث يمتلك الأدب القدرة على معالجة العواطف وإعادة صياغة الوعي الإنساني. من خلال استعراض نماذج تاريخية، يبرز الأدب كوسيلة فعالة لتحقيق التوازن النفسي والاجتماعي، مما يسهم في بناء حياة أكثر نقاءً واستقراراً.

الكلمات المفتاحية: الأدب – الشباب – المشاكل الاجتماعية– المادية – القلق، الشيوعية، الرأسمالية، المخدرات – الانتحار – الصدق – الأمانة – العدالة – الشمولية – التقدم – التربية

تمهيد

يُعد الأدب منارة فكرية تُضيء دروب المعرفة، موجهةً النفوس نحو التأمل والإصلاح. فالأدباء، بوصفهم رواد الفكر وأصحاب القلم، يسهمون بأفكارهم ومواقفهم في إثراء الحياة الثقافية

* الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية، جامعة مولانا آزاد الوطنية بحيدراباد، الهند

والاجتماعية. إذ يمتلكون القدرة على استيعاب ديناميكيات العصر وتحدياته، موجهين جهودهم نحو تعزيز رقي المجتمعات وتنوير العقول. ومع ذلك، واجه الأدب في العصر الحديث تحديات جمة، حيث سعت أيديولوجيات متباينة إلى توظيفه لخدمة أهدافها. في هذا السياق، برزت الشيوعية والرأسمالية كنظرتين عالميتين متصارعتين، حاول كل منهما تشكيل الوعي الجمعي وفق رؤيتها وأولوياتها، مما أثر على طبيعة الإنتاج الأدبي ودوره في المجتمع.

الأدب في العهد السوفيتي: التعددية والرقابة

شهدت العشرينات من القرن العشرين في روسيا تنوعًا ملحوظًا في الاتجاهات الأدبية، بهدف دعم فكرة استيلاء البلاشفة على السلطة عام ١٩١٧. تحول الأدب في ظل النظام السوفيتي إلى أداة دعائية تخدم أهداف الدولة، وانقسم إلى تيارين رئيسيين: الأدب الرسمي والأدب غير الرسمي. كان الأدب الرسمي خاضعًا بالكامل لتوجيهات الدولة، بينما لم يُسمح بنشر الأدب غير الرسمي إلا بعد موافقة الجهات الرسمية، وكان أي عمل يتعارض مع سياسات الحزب يُرفض بشكل قاطع. فرضت الرقابة المشددة قيودًا صارمة، حيث كانت المؤسسات تراقب الأعمال الأدبية، وتُعاقب المخالفين بالسجن. ورغم هذه القيود، استمر الكتاب في إنتاج أعمال تعبر عن أفكار معارضة أو معقدة، متحدين توقعات الحزب الشيوعي الذي دعا إلى إنتاج أدب يتماشى مع النظريات الشيوعية، بهدف صياغة "الإنسان السوفيتي الجديد"، واصفًا الكتاب بـ"مهندسي النفوس البشرية".

تضمن الأدب غير الرسمي نوعين: الأول، تقليد أدبي أنتج بعضًا من أبرز أعمال القرن العشرين واستمر حتى انهيار الاتحاد السوفيتي؛ والثاني، أعمال كُتبت داخل الاتحاد السوفيتي، شملت نصوصًا متداولة بشكل غير قانوني، أو مُهربة للنشر خارجيًا، أو مؤلفات ظلت حبيسة الأدراج، ولم تُنشر إلا بعد عقود، وهي ما يُعرف بـ"الأدب المتأخر". غالبًا ما فقدت الأعمال الرسمية شعبيتها بمرور الوقت، وبقيت، حتى عند قبولها اسميًا، بعيدة عن اهتمام الجمهور. من الناحية الأدبية، تفوق الأدب غير الرسمي على نظيره الرسمي في القيمة الفنية والتأثير، وهو ما يتضح من خلال جودة الأعمال وتأثيرها الثقافي.

الأدب في ظل الرأسمالية: تحديات التسليع والعولمة

الرأسمالية نظام اقتصادي يقوم على الملكية الخصوصية لوسائل الإنتاج، ويستهدف تحقيق الأرباح كمحرك أساسي. تطور هذا النظام عبر مراحل تاريخية، متسمًا بمبادئ أساسية تشمل الملكية الخاصة، السعي وراء الربح، تراكم رأس المال، التنافس السوقي، تسليع العلاقات والموارد، العمل الأجير، والتركيز على الابتكار والنمو الاقتصادي.

أثرت هذه المبادئ بشكل عميق على الأدب، إذ واجه تحديات كبيرة نتيجة تفضيل الأولويات الاقتصادية على القيم الإنسانية والثقافية. كما أسهمت العولمة، التي تُعرف بمجموعة التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي بدأت في السبعينات من القرن العشرين، في إعادة صياغة الدراسات الأدبية. فقد دفع هذا التحول النقاد إلى إعادة قراءة النصوص الأدبية في ضوء سياقات محددة، متأثرة بنظريات تطورت ضمن الأطر الرأسمالية. نتيجة لذلك، تأثر الأدب المعاصر بقوة بهذه الديناميكيات، مما أدى إلى إعادة تشكيل دوره ووظيفته في ظل هيمنة التسليع والتوجهات الاقتصادية، وقد اكتسبت زخما كبيرا بعد نهاية الحرب الباردة[1].

فظهر شد وجذب، وصراع شرس للسيطرة على موارد الاقتصاد عن طريق صياغة الذهن العالمي والمعاهد الفكرية في إطار اقتصادي منشود. ولكن أنجب هذا التنافس حالة من الاضطراب والكبَد والعناء في المجتمع. فتعقد أسلوب العيش حتى تأثرت به المشاعر، وتوترت الأحوال العاطفية، وتدهورت العلاقات الأسرية والروابط الاجتماعية، واشتدت ردود الفعل تجاه الضغوط ومهارات التأقلم، وكذلك تفاقمت الآلام الداخلية في الجسد والذهن والعاطفة، وتزايد التفكر العميق في الفرص التعليمية، وأهداف الطموح، وإمكانيات التقدم، إلى جانب التأمل في فرص الحصول على مكافآت الحياة، والوصول إليها، وما إلى ذلك.

تشهد المناقشات المعاصرة اهتمامًا متزايدًا بأنماط الحياة وأساليب العيش في ظل التطورات العلمية والتقنية، مع التركيز على إعداد الشباب والجيل الناشئ للمساهمة في بناء عالم القرن الحادي والعشرين. ومع ذلك، تكشف الواقع عن تحولات سلبية مقلقة، تتجلى في تقارير إعلامية تسلط الضوء على أزمات ذات أبعاد اجتماعية، أخلاقية، نفسية، وصحية. تؤكد الإحصاءات خطورة هذه الظواهر، التي أصبح الشباب ضحاياها بشكل خاص، رغم ما يتمتعون به من تقدم معرفي واطلاع

[1] Liam Connell and Nicky Marsh, "Literature and Globalization", Routledge, 2011, p. xiv.

واسع على قضايا العالم. يطرح هذا الوضع تساؤلات جوهرية: ما الذي ينقص الشباب؟ وما العناصر التي غابت عن حياتهم لتؤدي إلى هذه الأزمات؟ بينما أبدى المؤلف المعروف شاشي ثارور[٢] عن حزنه وقلقه على هذه الظاهرة المخزية. فهو يعرب عن أساه حول إدمان المخدرات في معشر الشباب. فيتطلب المضاعفة في المجهودات نحو تعليم الشباب على أسلوب مؤثر لوضع الحد على تزايد نسب الجرائم[٣].

إدمان المخدرات

تُعد قضية إدمان المخدرات قضية اجتماعية ونفسية بقدر ما هي قضية طبية، وللتغلب عليها لا بد من تضافر الجهود بين العلماء والمفكرين والأسر، إلى جانب الهيئات الحكومية وقادة المجتمع.

تُعرف ولاية كيرالا بكونها منارة في مجالات التعليم والصحة والتقدم الاجتماعي، وتتمتع بمعدلات مرتفعة في القراءة والكتابة مقارنة بولايات الهند الأخرى. ومع ذلك، فإنها اليوم تواجه أزمة تهدد بطمس إنجازاتها وتقويض مكتسباتها .فلم يَعُد وباء المخدرات مقتصراً على المدن والمراكز الحضرية، بل امتد إلى القرى النائية والهادئة. وترد الأخبار يوميًا عن حالات تعاطٍ من مختلف أنحاء الولاية، ما أدى إلى تدمير حياة الأفراد، وتفكك الأسر، وتراجع النشاطات الاجتماعية .وقد أثارت التقارير التي تشير إلى تزايد نسبة التعاطي وتصاعد الجرائم المرتبطة به موجة من القلق والصدمة في كافة أرجاء كيرالا.

ولمواجهة هذه الأزمة مواجهة حقيقية، لا بد من وضع استراتيجية شاملة تجمع بين التعاطف والتوعية والتعليم، إلى جانب تطبيق القانون والإجراءات التأديبية بشكل حازم ومنظم.

تشير المعطيات من التقارير الأخيرة إلى صورة متشائمة، فقد سجلت الولاية ٢٧٧٠١ حالة، بموجب قانون المخدرات والمؤثرات العقلية عام ٢٠٢٤[٤]، وهو ما يزيد عن ثلاثة أضعاف عدد حالات تعاطي المخدرات في البنجاب، وهي ٩٠٢٥ حالة، في حين تعتبر البنجاب تقليديا مركزا رئيسيا للمخدرات في الهند، فالآن تجاوزت ولاية كيرالا الولايات الآخرى من الهند، بأعلى معدل لحالات تعاطي المخدرات، حيث بلغ ٧٨ حالة لكل مائة ألف نسمة عام ٢٠٢٤، مقارنة بـ٣٠ حالة في البنجاب.

---

[٢] . شاشي ثارور أديب وعضو سابق لمجلس النواب الهندي نيابة عن مدينة تريويندرام في كيرالا، وألف ٢٤ كتابا، حاز على جائزة ساهيتيا أكاديمي.

[3] Shashi Tharoor, "Kerala's Drug Crisis: A call for collective action", Editorial, The New Indian Express, Hyderabad, April 11, 2025.

[4] Narcotic Drugs and Psychotropic Substances Act, 2024.

على مدار السنوات الأربع الماضية سجلت ولاية كيرالا ٨٧١٠١ قضية متعلقة بالمخدرات، بزيادة قدرها ١٣٠ في المائة عن السنوات الأربع السابقة. وتتأثر جميع المناطق بهذه الظاهرة. وارتبطت ٣٠ قضية قتل في الشهرين الأولين من هذا العام، من أثرتعاطي المخدرات. وهو ما يعادل نصف إجمالي جرائم القتل في الولاية. لم يعد تعاطي المخدرات محصورا في الفئات المهمشة من المجتمع، بل امتد إلى المدارس والجامعات وأماكن العمل أيضا مما يهدد مستقبل الجيل الناشئ. وقد غمرت المخدرات الاصطناعية والمؤثرات العقلية أسواق الولاية. ومما يثير القلق أن البيانات تشير إلى ارتفاع حاد في عدد الحالات التي تشمل القاصرين والمتعاطين لأول مرة، مما يؤكد خطورة الوضع. ففي أسبوع واحد فقط هذا العام بين ٢٢ فبرائر وغرّة مارس، نفذت فرقة العمل الخاصة ٢٧٦٢ عملية ضبط المخدرات، وألقت القبض على ٢٨٥٤ مشتبها.

والحقيقة أن العواقب وخيمة من مضاعفات صحية وتصاعد في معدلات الجريمة إلى درجة وصمة العارالا جتماعية واضطرابات الصحة النفسية. ومع ذلك، فإن النهج الحالي المتمثل في حملات المداهمة بشكل متفرق، ومبادرات إعادة تأهيل رمزية، وجهود التوعية مع قادة المجتمع، كلها عوامل تدفع المهتمين إلى توحيد الجهود لرفع مستوى الوعي بمخاطر البلاء وأثرها في مستقبل القوم والأمة. فينادي الوضع الآن بعقد قمة شاملة تضم أصحاب العلم والفكر والنشطاء والقادة من صفوف مختلفة من المجتمع لمكافحة هذه المصيبة.

يجب معالجة المشكلة من جذورها، بدءأ من المدارس والكليات، ويجب توعية الطلبة من نتائجها المدمرة عن طريق التعليم الشامل حول إساءة استخدامها. ويمكن دمج المعلومات عن هذه المواد في المناهج الدراسية، لتزويد الشباب بالمرونة اللازمة، نحومقاومة ضغوط الأقران واتخاذ قرارات مستنيرة لتجنب الإدمان.

هذا وضع ظهر أمامنا رغم الإتقان في العلوم والمعارف. ولكن هناك تساؤلات، لاتزال تصر، ولايمكن الإغماض عنها، وهي حول وجود العوامل والأسباب التي فتحت الأبواب لامتداد مخالب هذه البلية. ينبغي للمرء هناك الاعتراف بحقيقة الأمر أن الناشئين والمراهقين لم يتيسر لهم الوصول إلى النصوص التي تجعلهم القادرين على التمييز بين الخير والشر، وبين النافع والضار. إنهم تلقوا التعليم حسب ما وضعت المناهج الدراسية على أساس المتطلبات للتقدم المادي دون العناية بالمتطلبات

الروحية والخلقية التي لها دور أفضل في توطيد العلاقات الاجتماعية. لأن الإنسان تم تكوينه من جسد وروح، فهو يستمد سعادته وراحته من انبساطه روحيا. وليس الجسد الذي نجده بشكل محسوس إلا هيكلا تتصرف فيه الروح. فيبدو هذا الجسد فرحا مطمئنا إذا نالت الروح سرورا، ومنكسر النفس ومغتما إذا باتت الروح مضطربة. ففي نظام التعليم العصري قلما يبذل الاهتمام بالدروس الروحية فيعاني الشباب من حالة الإجهاد والتوتر الذهني أو العاطفي. فيفقدون القدرة على التحكم بالنفس. هذا هو السبب وراء ارتفاع حالات الإدمان وتزايد معدلات الانتحار بين الشباب. من أجل ذلك قامت المحكمة العليا الهندية بتعيين المجموعة العاملة لاتخاذ الإجراءات في مقاومة العوامل التي تفضي الشباب وخاصة الطلبة إلى ارتكاب الانتحار.

أحداث الانتحار

قرر الاجتماع الثاني لفريق العمل الوطني المعنى بالصحة النفسية للطلاب ومنع الانتحار في مؤسسات التعليم العالي[5]، الذي عقد في نيو دلهي، تشكيل ثلاث فرق عمل تعنى بالمهام المختلفة الموكلة إليها. وذكرت وزارة التعليم الاتحادية في بيان لها أن المجالات الرئيسية التي تركز عليها هذه الفرق تشمل تحديد الأسباب الرئيسية المؤدية إلى انتحار الطلاب، وتحديد فعالية اللوائح والسياسات الحالية المتعلقة برعاية الطلاب والصحة النفسية، واقتراح إصلاحات لتعزيز الأطر المؤسسية وتهيئة بيئة أكاديمية داعمة[6].

يعتبر الضغط الأكاديمي والتمييز والأعباء المالية، والوصمة المرتبطة بالصحة النفسية من الأسباب الرئيسية لانتحار الطلاب، كما تشمل مهام فرق العمل جمع التقارير السابقة ومراجعتها، ودراسة القوانين السارية، ووضع منهجية لتصميم الاستبيانات. شكلت المحكمة العليا فريق عمل وطني برئاسة القاضي رافيندرا بهات، وهو قاضي المحكمة العليا السابق، إلى جانب الخبراء الآخرين من مختلف المجالات، كالأعضاء للمناقشة وتداول القضايا المتعلقة بمشاكل الصحة العقلية بين الطلاب، والوقاية من حالات الانتحار في المؤسسات التعليمية، والتوصية بالتدابير الوقائية.

[5] National Task Force on the Mental Health Concerns of Students and the Prevention of Suicides in Higher Educational Institutions.
[6] The Hindu Bureau, "***Working groups of taskforce set up by SC to identify causes of students' suicides***", The Hindu, Hyderabad, April 15, 2025, p.12

خلال الاجتماع عرضت الإجراءات التي تم اتخاذها حتى الآن وجرى النقاش بالتفصيل. وتضمنت بنود جدول الأعمال إنشاء بوابة أو موقع إلكتروني لجمع البيانات، وإعداد التقارير والمبادئ التوجيهية، وتوزيع أوراق الاستبيانات، وحشد الدعم من مختلف القطاعات إلى جانب ضم المسؤولين من وزارة التعليم، مع عزيمة محو الأمية المدرسية. وتم التنسيق مع وزارة الصحة الاتحادية، إضافة إلى المؤسسات وغيرها.

كما يعاني الجيل المعاصر من ويلات الزمان من الضغوط والتوتر الذهني، فيلجأ إلى العزل الاجتماعي ويبتعد عن الاهتمام بميزة التعاون. فمالت الطبائع إلى متابعة القرارت الذاتية بحكم الأنانية والقساوة في السلوك. فقد أدت هذه العوامل إلى زيادة مستوى الغضب والعدوانية في المجتمع، فيحض هذا الاتجاه إلى تحقيق الأهداف وإشباع الرغبات على أساس الأولويات الفردية، من غيرالاعتبار بالمبادئ الاجتماعية والقيم الخلقية، مما يتزايد به سوء السلوك والإساءة العاطفية في الشباب. وبذلك انتشار الإباحية أيضا.

تفشي الإباحية

إنّ النقص في التعليم المناسب قد فتح نافذة أخرى إلى جانب الانحطاط الاجتماعي. وهو تنزيل المواد الإباحية. في شهر يناير ٢٠٢٢، أصدرت محكمة مدراس العالية حكما بأن مجرد تنزيل مواد إباحية في شأن الأطفال لا يعد جريمة. وأبطلت قضية اقتراف جريمة ضد رجل يبلغ من العمر ٢٨ عاما . وكان الأمر مدهشا للغاية. كيف يمكن لشخص يبحث عن اغتصاب طفل ويشاهد مقطع فيديو حول الموضوع الذي يثير على الطلب المزيد في الجريمة، أن ينجو من العقاب؟ إنَ هذا الحكم لايخالف روح قانون حماية الأطفال من الجرائم الجنسية لعام ٢٠١٢ فحسب، بل يثير مخاطر لتطبيع استغلال الأطفال. إلا أنّ من حسن الحظ، قامت المحكمة العيا الهندية بتصحيح هذا الإهمال الخطير في حكم المحكمة العالية[٧] يوم سبتمبر ٢٣.

لم يقتصر هذا الحكم الصادر عن المحكمة العليا على توسيع نطاق مفهوم الجريمة وتعريفها في سياق تنزيل وتخزين هذه المواد جريمة فحسب، بل فرض إطارا شاملا أيضا لمكافحة المواد الاستغلال والاعتداء الجنسي على الأطفال وفرض مسؤوليات صارمة على وسطاء وسائل التواصل الاجتماعي

[7] Bhuwan Ribhu, "***A blueprint for safeguarding children***", Opinion, The Hindu, Hyderabad, October 15, 2024.

لامتثال القانون الهندي. إن الحكم قام بصياغة مفهوم الجريمة من جديد بدلا من اعتبارتلك المواد وسيلة لتسلية البالغين.

يثبت الحادث أن الأفراد الذين يبحثون عن مثل هذه المواد أو ينزّلونها في الحقيقة ينشؤون سلسلة عرضها. وهذا الطلب يغذّي اغتصاب الأطفال واستغلالهم. ويثير استمرار هذه الجريمة حالة القلق والخناق، إذ لاتزال هذه الصور يتم نشرها على الإنترنت مما يعرّض الأطفال وعائلاتهم لتواصل التضرر مع استمرار إعادة استغلالهم لفترة طويلة بعد وقوع الحادث. والأمر الذي يثير القلق مزيدا هو أن العديد من الأطفال لايدركون أنهم وقعوا ضحايا، إذ تتداول صورهم سرا عبر الشبكة.

هناك نقاش جاد على نطاق واسع كيف يمكن الارتقاء بالأخلاق في الشباب إلى مستوى مقبول لدى الجميع؟ هذه مسألة بالغة الأهمية في كل مكان من العالم. مع وجود ميل شائع إلى تحديد أسلوب حياة المرء وتفضيلاته، والجميع مستعدون للاعتراف بهذه الحقيقة، فإنّ القيم الخلقية بالغة الأهمية لبقاء المجتمع البشري وتقدمه. في هذا السياق يبرز دور الأدب، إذ تطرح الأفكار والتصورات بأسلوب حساس يدفع القارئ إلى التأمل في هذه المسألة.

الصدق والأمانة للكتب

قال غوبال كريشنا غاندي[٨]، إنه في حين لايمكن لأي من الإبداعات البشرية، بما في ذلك الكتب، أن يدّعي الكمال، فإنّ الكتب تستطيع، بل ينبغي أن تدّعي شيئا واحدا، وهو "الصدق والأمانة ببساطة". إنه أعرب عن هذا الرأي في افتتاحية الدورة الثانية عشرة من مهرجان الأدب لجريدة "دا هندو" اليومية، لعام ٢٠٢٣، في مدينة تشيناي، بالهند. بيد أنه اعترف بأنّ الصدق والأمانة، على كل حال، أمر صعب للغاية[٩].

يُشكل مهرجان الأدب منصة شاملة تجمع الفنانين، الكتاب، المفكرين، والأدباء لعرض رؤاهم الإبداعية ومواقفهم الفكرية .يلتزم المهرجان بالحفاظ على التقاليد الأصيلة، ودعم الصحافة الشجاعة الملتزمة بالحقيقة، مع التمسك بالقيم الديمقراطية، العدالة، والشمولية الاجتماعية، في إطار احترام التنوع والتعددية .تُعد حرية التعبير ركيزة أساسية لهذا الحدث، الذي تنظمه الجريدة

[8] الأستاذ المتميز في التاريخ والسياسة بجامعة أشوكا، والحكم السابق لولاية البنغال الغربية

[9] The Hindu Bureau, "***Books can and should claim honesty and evoke trust: Gopalkrishna Gandhi***", Lit Fest 2024, The Hindu, Hyderabad, January 27, 2024, p. 10

بهدف استكشاف رؤى جديدة من الأوساط العلمية، الفكرية، والثقافية .يسعى المهرجان إلى تعزيز التفاهم بين مختلف الشرائح والمجتمعات، وتوسيع آفاق التفكير من خلال التفاعل مع الأفكار والكلمات .وبهذا، يسهم في تحفيز التفكير النقدي، وصقل القيم الثقافية بمزيد من الاستنارة، لإحداث تغيير إيجابي في الأوساط الأدبية والثقافية.

العدالة والشمولية في عهد العباسيين

وإذا رأينا هذا بإمعان النظر وجدنا أنّ هذا هو الموقف الذي اتخذه العباسيون في عصورهم من أثر التعليم الإسلامي. ومن فضل ذلك انتشر العلم والأدب والفن والثقافة في أطراف العالم. إذ امتدت الدولة العباسية من حدود الصين، وأواسط الهند شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن المحيط الهندي والسودان جنوبا إلى بلاد الترك والخزر والروم والصقالبة شمالا. وبذلك كانت تضم بين جناحيها بلاد السند وخراسان وما وراء النهر وإيران والعراق والجزيرة العربية والشام ومصر والمغرب. وهي أوطان كثيرة، وكان يعيش فيها منذ القدم شعوب متباينة في الجنس واللغة والثقافة، غير أنها لم تكد تدخل في نطاق العروبة ، حتى أخذت عناصرها المختلفة تمتزج بالعنصر العربي امتزاجا قويا. فصارت أمة عربية تتألف من أجناس مختلفة، وقد مضت هذه الأجناس تنصهر في الوعاء العربي حتى غدت كأنها جنس واحد. فكانت هناك ظاهرة الامتزاج بين العنصر العربي والعناصر الأجنبية. فامتزجوا روحيا عن طريق الولاء الذي شرعه الإسلام، والذي اتخذ شكل رابطة تشبه رابطة الدم، فالشخص كان فارسيا، أو هنديا أو روميا، أو قبطيا، ولكنه عربيا ولاء. وحتى الرقيق كانوا بمجرد تحريرهم يصبحون موالي لأصحابهم، وينسبون إلى قبائلهم. مثلهم مثل أبنائها الأصليين، وقد دعا الإسلام إلى هذا التحرير دعوة واسعة[10]. إذ جعل إعتاق الرقيق أو فك رقبة كفارة عن كثير من الذنوب. وكان كثير منهم إذا تحرروا وجدوا مناصب كبرى أو اعتلوها في الدولة. وهذا الرقيق إنما كان قلة قليلة في العدد مقارنة إلى أحرار الموالي الذي كانت تتكون منهم الشعوب المفتوحة. وقد دخلت كثرتهم في الإسلام، وامتزجوا بأهله من العرب، ونعموا بما يُكفل للناس من عدل ومساواة. لقد فسح العباسيون للفرس حتى غلبوا على العرب في تصريف شؤون الدولة. وحتى من لم يسلم من الموالي من المجوس والصابئة والنصارى أخذ يندمج في المحيط العربي

[10] شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة والعشرون، ٢٠١٨، ص. ٨٩

بفضل ما شرعه الإسلام. ولهم من حقوق اجتماعية وحرية دينية. وبذلك فتحت بينهم وبين المسلمين أبواب التعاون الوثيق، على مصاريعها، في جميع شؤون الحياة. وحقا قد دخل جمهورهم الضخم في الإسلام، من غير إكراه أو عنف أو عسف[11].

الأدب والعدالة الاجتماعية في سياق طموح الهند لتصبح دولة متقدمة بحلول عام ٢٠٤٧

تشهد الهند نقاشات معمقة عبر المنصات الإعلامية والأكاديمية حول طموحها لتصبح دولة متقدمة بحلول عام ٢٠٤٧، بالتزامن مع الذكرى المئوية لاستقلالها. تركز هذه المناقشات على العوامل الأساسية لتحقيق هذا الهدف، ومنها ضمان حياة كريمة لجميع المواطنين، تعزيز جودة الحياة كمعيار للثروة، زيادة مشاركة النساء في القوى العاملة، تحقيق نمو اقتصادي شامل، وتطوير الخدمات العامة.

تناولت جلسة نقاش بعنوان "الهند الغنية: هل تصبح الهند دولة غنية بحلول عام ٢٠٤٧؟ الطريق إلى الأمام" هذه القضايا بحضور نخبة من الخبراء، منهم جايتي غوش، أستاذة الاقتصاد بجامعة ماساتشوستس، ومونتيك سينغ أهلواليا، نائب رئيس لجنة التخطيط السابق، وسانجاي كول، محلل سياسات التنمية، وتي إن نينان، رئيس مجلس إدارة بيزنس ستاندرد. أكد النقاد على أهمية الطموح الوطني، لكنهم أشاروا إلى تحديات هيكلية تعيق التقدم، مثل البطالة، سوء التغذية، تفاقم العجز المالي، انخفاض معدلات الاستثمار، وتصاعد التوترات الاجتماعية.

أشار أهلواليا إلى أن التنمية الاقتصادية تُقاس تقليديًا بدخل الفرد، لكنه شدد على أن النمو وحده لا يكفي دون توزيع عادل للثروة. ولتحقيق العدالة الاجتماعية، اقترح المشاركون إعادة النظر في الأدب كأداة لتعزيز القيم الأخلاقية والاجتماعية. يُبرز التاريخ، وخاصة الأدب الإسلامي في العهد النبوي، وفترة الراشدين، والعصر العباسي، نماذج للأدب الذي دعم العدالة والمساواة، مما يشكل مصدر إلهام لمواجهة التحديات المعاصرة.

إلى جانب تحقيق نمو شامل، تبرز الحاجة إلى تطوير الخدمات العامة التي تقدمها حكومة تهدف إلى الرفاه العام، بعيدًا عن تعزيز التنافسية السوقية. أشار تي إن نينان، في مناقشة حول مسار التنمية في الهند، إلى إمكانية تقييم معدل نموها مقارنة بمعدلات النمو المرتفعة التي سجلتها دول جنوب آسيا على المدى القصير، ومعدلات النمو المتوسطة التي حققتها الدول الغربية على مدى أطول. وأكد أن

[11] شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة والعشرون، ٢٠١٨، ص. ٩٠

جودة الحياة، وليس مجرد الثروة المادية، هي المعيار الحقيقي للتقدم، مستشهداً بعناصر مثل الرعاية الصحية، الهواء النقي، التعليم الشامل، فرص العمل للجميع، الأمن الشخصي، والقدرة على تأمين سكن ملائم. تتجذر هذه القيم في روح التعاون، الإخلاص، والالتزام برفاهية المجتمع، وهي سمات تجلت بوضوح في عهد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، اللذين جعلا سعادة الناس وراحتهم أولوية قصوى.

من هنا، تتجلى أهمية استلهام التراث الأدبي الإسلامي وإحيائه في المجتمع المعاصر. فعلى الأديب أن يواجه مظاهر الفساد والشر التي تهدد المجتمع، رافضًا استغلال فكرة النمو لأغراض سياسية تُحرف الحقائق. كشف تقرير التنمية البشرية الأخير عن تحديات جمة، منها انخفاض مستوى التنمية البشرية، تفاقم عدم المساواة، وارتفاع الديون، مما يستلزم وضع استراتيجية إصلاحية طويلة الأمد لتحقيق تنمية مستدامة وعادلة، فقد حان الوقت للتفكير من جديد، في استراتيجية متبادلة لتحديد مفهوم النمو والتنمية البشرية[١٢].

التقدم الغربي يعود إلى المصادر العربية

إنّ الغرب استفاد بالمؤلفات العربية في العصور الوسطى، ونقلها ليقتبس من الحضارة العربية والإسلامية أيام أوجها، حتى وصل إلى ما وصل من التقدم العلمي والحضاري[١٣].

لقد ركز الغرب بشكل مكثف على الجوانب المادية في مسيرته الحضارية، مستفيداً منها على حساب الجوانب الروحية والدينية. في هذا السياق، أكد الدكتور علم الهدى حماد على الدور البارز للعرب في تطوير هندسة الآلات وتأثيرها العميق على أوروبا. فقد استلهم العلماء الأوروبيون معارفهم من المخطوطات العربية، رغم ندرة ما وصل منها إلى الباحثين. تميز تقدم العرب في هذا المجال باتجاهين رئيسيين: الأول، تصميم آلات للاستخدام العملي، مثل الطواحين، النواعير، والسواقي، إلى جانب الأدوات الحربية، لخدمة المنفعة العامة. والثاني، ابتكار آلات ترفيهية لإمتاع الجمهور، كانت تُستخدم في محافل الحكام والبلاطات. بينما تتوفر وثائق وافية عن التصنيف الثاني، تظل المعلومات عن الأول محدودة. ويبرز العالم العربي بديع الزمان إسماعيل بن الرزاز الجزري (القرن الثاني عشر

[12] M.Suresh Babu, “Giving primacy to human development”, Opinion, The Hindu, Hyderabad, May 9, 2024.
[13] هالة بيلي الروماني، "أطفالنا وتعليم اللغة الثانية"، مجلة العربي الشهرية، وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد ٤٢٧، يونيو ١٩٩٤، ص ١٦٩-١٧٠

- أوائل القرن الثالث عشر الميلادي) كأحد أعظم المخترعين في مجال الآلات ذاتية الحركة (الأوتوماتون)، حيث قدم إسهامات رائدة في تصميم آلات مبتكرة ونافعة، مهدت الطريق للتقدم التكنولوجي.[١٤].

قدم العرب إسهامات رائدة في المجالات التكنولوجية، قد تبدو متواضعة مقارنة بالمعايير الحديثة، لكنها شكلت أساسًا حيويًا للتقدم العلمي .فتحت هذه الإسهامات آفاقًا جديدة، مكنت العقل البشري من تحقيق طموحاته عبر الابتكارات الميكانيكية، واستمرت الجهود الإنسانية لاحقًا في تطوير هذه الإنجازات . لا يمكن تجاهل الدور التأسيسي للعرب في هذا المسار أو تهميشه في سجلات التاريخ، إذ تميزوا بإبداع استثنائي في سياق عصرهم، مقدمين أفكارًا مبتكرة أضاءت كالنور في ظلمات العصور الوسطى .استلهم الغرب هذه الإسهامات واستفاد منها بقوة، لكنه ركز بشكل مفرط على الجوانب المادية، متجاهلًا الاحتياجات الروحية والنفسية .وهكذا، اقتصرت إنجازات الغرب على تلبية المتطلبات المادية، تاركة فراغًا في أبعاد السلام الروحي والذهني.

الأدب ودوره في تربية الشباب

من الضروري أن يكون الأدب متصفا بوصف إيقاظ الشعور، ليحدث به الأديب انقلابا في الفرد والمجتمع، وينشئ ثورة فكرية، ليمكن به القضاء على الأوضاع الفاسدة، ويشعل القلوب حماسة، ورغبة في نشر الحق و تطلعا إلى الخير. فلابد من أن يملك قلم الأديب والشاعر التأثير الذي كان في عصا موسى. إذ ضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، قد علم كل أناس مشربهم[١٥]. وإذا ضرب بها البحر، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم. حتى نجا موسى ومن معه أجمعون، وغرق من اتبعهم من الغاوين[١٦].

يحمل قلم الأديب رسالة سامية، يشكل من خلالها مسار الفكر ويرسم رؤى المستقبل، موجهًا الوعي الجمعي نحو التمييز بين النافع والضار، والتوازن بين القيم الروحية والمادية .إن الأدب الذي يُستغل لتحقيق مكاسب مادية، إرضاء الأثرياء، إثارة الشهوات، أو مجرد التسلية ومتابعة الأهواء، يفقد جوهره ويصبح أداةً مضللة بعيدة عن غايته الأصلية .فالأدب المنحصر في التغني بالجمال الخارجي

[14] الدكتور علم الهدى حماد، "الروبوت منذ فجر التاريخ"، مجلة العربي الشهرية، وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد ٤٢٧، يونيو ١٩٩٤، ص. ١١١
[15] سورة البقرة، آية ٦٠
[16] سورة الشعراء، آية ٦٣-٦٦

أو الأناقة السطحية ينحرف عن دوره المنشود، وهو تهذيب النفوس وإثراء العقول .التاريخ يشهد أن الأدب، حين يتخلى عن أهدافه النبيلة ويخضع للنزوات، يفقد مكانته ويهبط إلى مستويات متدنية، متخليًا عن تأثيره الإصلاحي.[١٧].

خاتمة البحث

يتمتع الشباب بقدرات استثنائية ومؤهلات متميزة تجعلهم ركيزة أساسية في المنافسة العالمية وتحقيق التقدم الحضاري. ولتمكينهم من أداء أدوارهم الريادية، لا بد من تزويدهم بموارد فكرية راسخة تغرس في عقولهم قيَمًا إنسانية عالمية مستدامة، وتُنمّي قدرتهم على التمييز بين النافع والضار، والصالح والفاسد. فإهمال هذا الجانب قد يُعرّضهم لعقبات تعيق طموحاتهم وتُضعف روحهم التنافسية.

ويبرز الأدب كأداة فعّالة لمعالجة مواطن الضعف وتعزيز الحس الإنساني، إذ يُوفّر نافذة معرفية تتيح للشباب استكشاف التجارب البشرية وتوسيع آفاق تفكيرهم. ومن هنا، ينبغي تشجيعهم على قراءة الأدب العالمي بما يحمله من حكمة وخبرات، ليكون بمثابة كنز يُضيء دروب المستقبل. ومن خلال الأدب، يمكن تعزيز الوعي بالمسؤوليات الاجتماعية وصقل رؤية واضحة لتحقيق الإصلاح والبناء المجتمعي.

وبهذه الطريقة، يسهم الأدب في إرساء أسس مجتمع متماسك، قادر على تحقيق حلم أمة قوية ومزدهرة، تستند إلى قيَم العدالة والاستقرار.

المراجع العربية:

١. القرآن.
٢. أبو الحسن علي الحسني الندوي، روائع إقبال، المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء، لكناؤ، الطبعة الخامسة ١٤١١/١٩٩١، ص. ٦٥-٦٦
٣. الدكتورعلم الهدى حماد، "الروبوت منذ فجر التاريخ"، مجلة العربي الشهرية، وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد ٤٢٧، يونيو ١٩٩٤، ص. ١١١

[١٧] أبو الحسن علي الحسني الندوي، روائع إقبال، المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء، لكناؤ، الطبعة الخامسة ١٤١١/١٩٩١، ص. ٦٥-٦٦

٤. شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة والعشرون، ٢٠١٨، ص٨٩.
٥. هالة بيلي الروماني، "أطفالنا وتعليم اللغة الثانية"، مجلة العربي الشهرية، وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد ٤٢٧، يونيو ١٩٩٤، ص ١٦٩–١٧٠

المراجع الأجنبية:

1. Liam Connell and Nicky Marsh, "Literature and Globalization", Routledge, 2011, p. xiv.
2. Shashi Tharoor, "Kerala's Drug Crisis: A call for collective action", Editorial, The New Indian Express, Hyderabad, April 11, 2025.
3. The Hindu Bureau, "*Working groups of taskforce set up by SC to identify causes of students' suicides*", The Hindu, Hyderabad, April 15, 2025, p.12
4. Bhuwan Ribhu, "*A blueprint for safeguarding children*", Opinion, The Hindu, Hyderabad, October 15, 2024.
5. The Hindu Bureau, "*Books can and should claim honesty and evoke trust: Gopalkrishna Gandhi*", Lit Fest 2024, The Hindu, Hyderabad, January 27, 2024, p. 10
6. Radhika Santhanam, "*India at 2047: what does it take to make the nation rich, improve quality life*", Lit Fest 2024, The Hindu, Hyderabad, January 27, 2024.
7. M.Suresh Babu, "Giving primacy to human development", Opinion, The Hindu, Hyderabad, May 9, 2024.

..... ❖❖❖❖❖ .....